الملامح الأولى لكتابة تاريخ لبنان الإقتصادي في مجلّة "المشرق" مطلع القرن العشرين

بيارمكرزل*

الملخص

مطلع القرن العشرين، نشرت مجلّة "المشرق" مجموعةً من المقالات التاريخيّة تناولت الحركة التجاريّة التي عرفتها المدن الساحليّة اللبنانيّة في حقبات مختلفة. جاءت هذه المقالات عبارة عن ملخّصات لأبرز وأهمّ المؤلّفات والدراسات المتخصّصة الصادرة في أوروبا منذ منتصف القرن التاسع عشر وحتى العام ١٩٠٦. وعرضت أفكارًا جديدة في الكتابة التاريخيّة المستندة إلى المنهجيّة العلميّة المعتمدة في أوروبا، تحديدًا في ألمانيا وفرنسا. وأسهم في نشر هذا النوع من المقالات الجو العام الذي كان سائدًا في لبنان منذ نهاية القرن التاسع عشر، حيث شهد قطاع التعليم تقدّمًا مع انتشار المدارس، وتأسيس الجامعة الأميركيّة والجامعة اليسوعيّة، وإزدهار حركة الطباعة، وصدور المجلّات والصحف التي نشرت الثقافة العامّة وساهمت في توسيع المعرفة العلميّة.

ساعدت هذه المقالات في مجلّة "المشرق" على التعرّف إلى أحدث الدراسات التاريخيّة الصادرة في أوروبا لكي يستفيد منها الباحثون والمهتمّون بكتابة تاريخ لبنان وتوجيههم نحو مدرسة جديدة في الكتابة التاريخيّة تتناول التغييرات والتطوّرات التي شهدتها أحوال التجارة في المدن الساحليّة اللبنانيّة عبر التاريخ.

* أستاذ في كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة، الجامعة اللبنانيّة، pierre.moukarzel@ul.edu.lb

يهدف هذا البحث إلى عرض هذه المقالات، وتسليط الضوء عليها، لإظهار أهميّتها ودورها في تجديد الكتابة التاريخيّة بنقلها أبرز ما توصّلت إليه الدراسات والأعمال العلميّة الصادرة في أوروبا في مجال التاريخ الإقتصادي إبّان القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين.

الكلمات المفاتيح تاريخ، اقتصاد، تجارة، لبنان، مدن ساحليّة

بين عامي ١٩٠٥ و١٩٠٨، صدرت في مجلّة "المشرق" للآباء اليسوعييّن التي تأسّست عام ١٨٩٨ سلسلة من المقالات التي تناولت تجارة المدن الساحليّة اللبنانيّة عبر التاريخ. وتضمّن بعض المقالات أيضًا الأسس والمبادئ العامّة للتجارة العالميّة، والعوامل المؤثّرة في ازدهارها وتحسين أحوالها. تكمن أهميّة هذه المقالات أنّها استندت إلى مراجع أوروبيّة متخصّصة بالتاريخ الإقتصادي والتجارة بين الشرق والغرب في العصور القديمة والوسيطة والحديثة. فهذا التوجّه الجديد في الكتابة التاريخيّة كان نتيجة النقص في المصادر العربيّة للمعلومات عن التجارة وعن النشاط الإقتصادي الذي نشأ بين ضفتي البحر المتوسّط، في حين أنّ هذه العلاقات هي على درجة كبيرة من الأهميّة تجيز فهم التطوّر والتحوّل اللذين عرفتهما المدن الساحليّة اللبنانيّة عبر العصور. فالمعلومات عن المدن الساحليّة اللبنانيّة الواردة في المصادر العربيّة قليلة جدًّا مقارنةً بتلك التي تعطيها المصادر الأوروبيّة. ففي الشرق لم تكن مصادر التاريخ القديم متوفّرة، ولم تتوفر مراكز أرشيف لحفظ الوثائق والسجلّات المتعلّقة بالأوضاع الإقتصاديّة في العصور الوسطى والحديثة. فالمسألة مرتبطة بتوفّر مصادر يمكن من خلالها دراسة حجم تجارة هذه المدن في الشرق أو مع الغرب وتقديرها. يُضاف إلى ذلك، أنّ أوروبا منذ القرن التاسع عشر، نتيجة التطوّر الذي شهده الإقتصاد الأوروبي، تأسّست فيها مدرسة تاريخيّة جديدة هي "مدرسة التاريخ الإقتصادي" إنتشرت أولًا في ألمانيا، ثمّ في انكلترا وفرنسا. ولم يقتصر دور هذه المدرسة على أوروبا بل شمل

أيضًا الولايات المتحدة الأميركيّة (Bourdé et Martin, 1997, p. 271-306). ومن جهة ثانية، تأسّست "المجلّة التاريخيّة"(La revue Historique) عام ١٨٧٦ في فرنسا التي اعتمدت البحث العلمي في التاريخ بتطبيق تقنيّات دقيقة بجمع المصادر، ونقد الوثائق، وتنظيم الكتابة التاريخيّة (كوثراني، ٢٠١٢، ص ١٦٦-١٦٧). ومع ازدياد اهتمام الباحثين الفرنسيّين بأحوال الشرق وتاريخه، صدرت عام ١٨٩٣ في باريس مجلّة تنشر الدراسات العلميّة عن الشرق في القرون الوسطى هي "مجلّة الشرق اللاتيني" (Revue de l'Orient Latin)واستمرّت حتى عام ١٩١١، وكانت تكملة لمجلّدين صدرا عامي ١٨٨١ و١٨٨٤ عرفا باسم "أرشيف الشرق اللاتيني" (Archives de l'Orient Latin). وكانت تُعنى بدراسة الآثار الشرقيّة، وتاريخ الشرق وجغرافيته في القرون الوسطى. وعام ١٨٩٦، صدرت مجلّة متخصّصة بتاريخ الشرق المسيحي حملت اسم "مجلّة تاريخ الشرق المسيحي" (Revue de l'Orient Chrétien).

هذا التطوّر في الكتابة التاريخيّة الذي عرفته أوروبا، وتحديدًا ألمانيا وفرنسا في أواخر القرن التاسع عشر، والتخصّص في دراسة تاريخ الشرق، كانا من أبرز الأسباب التي دفعت بالرهبان اليسوعيّين إلى تأسيس مجلّة تُعنى بكتابة التاريخ بالإضافة إلى الأدب والدين والثقافة العامّة. فكانت مجلّة "المشرق" ترجمة للأفكار الجديدة الرائجة في أوروبا، ومحاولة أولى لمواكبة التطّور الفكري الأوروبي. وشكّل تاريخ التجارة واقتصاد المدن اللبنانيّة عبر العصور مجالًا جديدًا سعت مجلّة "المشرق" إلى تسليط الضوء عليه، تمهيدًا للإفساح في المجال أمام المؤرّخين للكتابة في إطار هذا التوجّه.

توزّعت المقالات عن تاريخ التجارة في مجلّة "المشرق" بين عامي ١٩٠٥ و١٩٠٨ على الشكل الآتي:

اسم الكاتب	عنوان المقال	سنة نشره في مجلّة المشرق
توما كيّال	الحركة التجاريّة في مدينة صيدا	١٩٠٥
الأب شارل لوسان اليسوعي	المضاربات التجاريّة	١٩٠٥
الأب لويس جلابرت اليسوعي	شركة ملاحيّة قديمة في بيروت	١٩٠٥
الأب هنري لامنس اليسوعي	تجارة سواحل سورية في الأجيال المتوسّطة	١٩٠٦
الأب لويس جلابرت اليسوعي	تاريخ التجارة في الأجيال الغابرة	١٩٠٦
توما كيّال	أهميّة التجارة في مدينة صيدا	١٩٠٦
الأب هنري لامنس اليسوعي	التجارة في القرن التاسع عشر	١٩٠٧
توما كيّال	تجارة صيدا وزراعتها وصناعتها	١٩٠٨

هدفت هذه المقالات إلى تعريف القارئ إلى مصادر جديدة يمكن الاستفادة منها لكتابة تاريخ لبنان الإقتصادي بالاعتماد على مصادر أوروبيّة، ما يفسح في المجال أمام الباحثين والمؤرّخين إلى تقديم دراسات جديدة غنيّة بالمعلومات، تسهم في إعادة كتابة تاريخ العلاقات التجاريّة بين الشرق والغرب عبر الحوض الشرقي للمتوسّط. لم ترقَ كلّ هذه المقالات إلى مستوى الدراسات العلميّة، فمعظمها جاء بمثابة نظرات عامّة وملخّصات لما ورد في الكتب الأوروبيّة المتخصّصة بالتاريخ الإقتصادي، ولكنّها شكّلت أولى المحاولات لكتابة التاريخ الإقتصادي للمدن الساحليّة اللبنانيّة، وإظهار الدور التجاري الذي لعبته في الحوض الشرقي للمتوسّط وعلاقاتها بالمدن التجاريّة الأوروبيّة، والمكانة التي احتلّتها على الخريطة التجاريّة العالميّة عبر العصور. ضمن هذا الإطار، ركّز الأديب الباحث توما كيّال[١] على التاريخ الإقتصادي لمدينة صيدا، وأهميّة التجارة فيها من خلال نشره ثلاثة مقالات في الأعوام ١٩٠٥، و١٩٠٦، و١٩٠٨.

ففي مقاله "الحركة التجاريّة في مدينة صيدا" (كيّال، ١٩٠٥، ص ٣٢٧–٣٢٩)، تحدّث توما كيّال عن أهميّة صيدا عبر التاريخ، وشهرتها، وغنى منطقتها والقرى المحيطة بها البالغ عددها مئة وعشرين قرية. ثمّ ذكر بشكل مقتضب

[١] توما كيّال من صيدا، ولكنّه هاجر إلى مصر بعد العام ١٨٦٠ ولم يبق أحد من عائلته في صيدا.

التطوّر الذي عرفته المدينة في أواخر القرن التاسع عشر، وعرض جدولًا لحركة مينائها عام ١٩٠٤، مظهرًا النشاط الإقتصادي الذي عرفته صيدا مقارنةً بالقرون السابقة. فأعطى لائحة بعدد المراكب البخاريّة والشراعيّة التي قصدت صيدا، والبلدان القادمة منها، وحجم حمولتها. وبعد ذلك، إنتقل إلى تعداد أبرز صادرات وواردات صيدا عام ١٩٠٤. كما ذكر معلومات مستقاة من دراسات عن أحوال صيدا الإقتصاديّة والقرى المحيطة بها وحجم التبادل التجاري مع بيروت وجبل لبنان والشام.

على الأرجح أنّ توما كيّال اعتمد في مقاله على سجلّات ميناء صيدا لعام ١٩٠٤، والحركة التجاريّة للمراكب التي تقصد المدينة، وكونه مقيمًا في مصر، قدّم معلومات مفصّلة عن صادرات صيدا إلى مصر من بضائع ومنتجات. واطّلع على دراسة ميدانيّة لصيدا وأراضيها وأحوال القرى التابعة لها، ولكنّه لم يذكر مصدر معلوماته. لذلك، يمكن أن نطرح تساؤلات حول ما ذكره في المقال: هل فعلًا قام بنفسه بجمع المصادر المختلفة لكتابة مقال عن تاريخ صيدا الإقتصادي؟ أم أنّه ترجم إلى العربيّة تقريرًا أجنبيًّا عن صيدا ومنطقتها؟ مهما يكن من أمر، يظهر واضحًا تأثّر توما كيّال بكتاب فيتال كوينيه(Vital Cuinet) الصادر عام ١٨٩٦ في باريس بعنوان:" Syrie, Liban et Palestine. Géographie administrative statistique, descriptive et raisonnée" (Cuinet, ١٨٩٦)، الذي تناول فيه أوضاع سوريا ولبنان وفلسطين، وجغرافيتها، وأحوالها الإداريّة، وسكّانها، واقتصادها. فشكّل عمل توما كيّال محاولة أولى في كتابة مقال عن تجارة صيدا ومنطقتها، على غرار المنهجيّة الأوروبيّة القائمة على جمع المعلومات من المصادر المختلفة، ولكنّه لم يخضع معلوماته للنقد والتحليل والمقارنة، فجاء المقال بمثابة عرض عام يقوم على السرد، وأشبه بمختصر يتألّف من صفحتين، يعتمد أسلوب كتابة سلسًا وواضح العبارة، بعيدًا من التعقيد والغموض، هدفه تزويد القارئ بكمّ من المعلومات يجعله يستمتع بقراءة المقال ويتعلّم منه الكثير.

وفي عامي ١٩٠٦ و١٩٠٨، نشر مقالين آخرين في مجلّة "المشرق" عن صيدا وتجارتها ونشاطها الإقتصادي، شكّلا تكملة لما أورده في مقاله الأول الصادر عام ١٩٠٥ (كيّال، ١٩٠٦، ص ١٥٧–١٦١؛ كيّال، ١٩٠٨، ص ١٧٤–١٨٠). ويظهر من خلال المقالين أنّ الكاتب عمل على تحسين كتابته ومقاربته للموضوع، معتمدًا الدقّة في انتقاء مصادر جديدة، ذاكرًا مصدر معلوماته، خلافًا لما أورده في مقاله الأول. ففي مقدّمة مقاله الصادر عام ١٩٠٦ بعنوان "أهميّة التجارة في مدينة صيدا" قال "وها نحن نقدّم هذه المرّة جداول أعمّ من الماضية وملاحظات ذات شأن أخذناها من أوثق المصادر ونقّبنا عن حقائقها كثيرًا في المحلّات التجاريّة فجاءت طبق المرغوب وخالية تقريبًا من الغلط" (كيّال، ١٩٠٦، ص ١٥٧).

وأعطى معلومات مفصّلة عن أحوال صيدا ومنطقتها عام ١٩٠٥، وحركة تجارتها عبر ميناء المدينة بوضع جدول لصادراتها وارداتها، ونشاطها الإقتصادي في قطاعي الزراعة والصناعة. والجديد الذي أدخله توما كيّال في كتابته تمثّل بذكر ملاحظات سمّاها "ملاحظات عموميّة" أورد فيها أسباب تحسّن أوضاع صيدا الإقتصاديّة بين عامي ١٩٠٠ و١٩٠٥، وأهميّة علاقة صيدا بالمناطق المجاورة لها. ونوّه بدور السلطات الحاكمة التي تعمل على تشجيع أهالي قضاء صيدا على زرع أشجار التوت وزيادة انتاج الحرير، وإلزام كل من يقطع شجرة تين أو برتقال أو زيتون أن يغرس عوضها شجرة توت، وخلص توما كيّال إلى استنتاج قائلًا "فاذا بقي الحال كذلك مدة ١٠ سنوات متتابعة تصير صيدا مشهورة بتوتها كاشتهارها الآن ببرتقالها" (ص ١٥٩). وأعطى معلومات عن مواسم التوت، والبرتقال، والموز، والحبوب، والأكيدونيا، والدخان، وأسعار المواشي والأسماك.

وفي الخاتمة، ذكر توما كيّال هدف المقال الذي يشكّل محاولة ليظهر للقارئ أهميّة التجارة في صيدا وتطوّرها بين عامي ١٩٠٠ و١٩٠٥. وتمنّى على السلطات العثمانيّة إنهاء العمل في شقّ طرق للعربات بين صيدا وصور وعكّا وحيفا، وبين صيدا والنبطيّة والجديدة وحاصبيّا، وبين صيدا وقائمقاميّة الشوف، راجيًا من السلطات الحاكمة

أن تنجز العمل بسرعة لما فيه من منفعة كبيرة على التجارة وتقدّمها. وأخيرًا، لفت انتباه أهالي صيدا للاهتمام بتأسيس شركة تجاريّة لإستيراد البضائع من أوروبا، متمنيًّا على الحكومة العثمانيّة مساعدة أهالي صيدا على مزاولة التجارة لما يعود عليها بالأرباح الكثيرة.

أمّا المقال الأخير الذي نشره توما كيّال في مجلّة "المشرق" عام ١٩٠٨ فحمل عنوان "تجارة صيدا وزراعتها وصناعتها". اعتمد في كتابته منهجيّة أوضح وأكثر تماسكًا مقارنة مع مقالاته السابقة. فوزّع المقال على أقسام ثلاثة: القسم الأول للتجارة، والثاني للصناعة، والثالث للزراعة. وذكر في كل قسم معلومات مفصّلة، وأرقام عن حجم المنتجات، والأسعار، وأحوال الأسواق وتقلّباتها، وأتبعها بجداول عن أهمّ واردات صيدا وصادراتها، وعدد المراكب وحمولتها التي دخلت ميناء صيدا عام ١٩٠٧. وختم المقال بتوجيه مطلب إلى الحكومة العثمانية لفتح فرع للبنك العثماني في صيدا لتطوير المعاملات التجاريّة في المدينة.

لم يقتصر مقالا الأديب الباحث توما كيّال عامي ١٩٠٦ و١٩٠٨ على تزويد القارئ بمعلومات عن النشاط الاقتصادي لمدينة صيدا وجوارها فقط، بل شكّلا وسيلة يعرض فيهما أفكار مشاريع على المسؤولين في الحكومة العثمانيّة لتنفيذها لما فيها من أرباح وفائدة على مدينة صيدا والمناطق المحيطة بها.

كان الأديب الباحث توما كيّال أول من نشر مقالات في مجلّة "المشرق" عن تاريخ التجارة في صيدا وحركتها التجاريّة مطلع القرن العشرين، وتحديدًا بين عامي ١٩٠٠ و١٩٠٨. وشكّلت مقالاته باكورة تأثيرات الدراسات الأوروبيّة التي تناولت تاريخ التجارة عمومًا، وأحوال لبنان، وأوضاع المدن الساحليّة في بلاد الشام التي احتلّت مكانة اقتصاديّة مهمّة، ولعبت دورًا رياديًّا في مجال التجارة البحريّة. وتزامنًا مع مقالاته، نشر الآباء اليسوعيّون في

مجلّة المشرق سلسلة من المقالات عن التجارة والتاريخ الإقتصادي للمدن اللبنانيّة شكّلت الإطار الذي سهّل وضع الحجر الأول لكتابة تاريخ لبنان الإقتصادي عبر العصور (القديم، الوسيط، الحديث).

عام ١٩٠٥ نشر الأب شارل لوسان(Charles Lucin) اليسوعي مقالًا في مجلّة "المشرق" بعنوان "المضاربات التجاريّة" (لوسان، ١٩٠٥، ص ١١١٣–١١١٨)، عرض فيه مبادئ وأصول التجارة عبر التاريخ ودورها في إحلال السلام بين الدول، وإزدهار حركة العمران في البلدان التي تنشط فيها الحركة التجاريّة.

بدأ الأب شارل لوسان اليسوعي مقاله بترجمة مقطع من كتاب "Le Parfait Négociant" (التاجر المثالي) الصادر عام ١٦٧٥ للخبير المالي والإقتصادي الفرنسي جاك سافاري(Jacques Savary) (Savary,1675). ولاقى هذا الكتاب شهرةً واسعةً، وجرت ترجمته إلى عدّة لغات (الإنكليزيّة، والهولنديّة، والألمانيّة، والإيطاليّة)، وصدرت آخر طبعة له عام ١٨٠٠. وبعد ذلك، إنتقل الأب لوسان إلى الحديث عن الطرق والوسائل التي كانت معتمدة قديمًا في عمليّات البيع والشراء، وكيف تبدّلت مع مرور الزمن وصولًا إلى المضاربات بين التجّار لتحقيق المزيد من المكاسب، ما انعكس تقلّبات في الأسواق وعدم استقرار في الأسعار. كان المقال يهدف إلى إظهار إنعكاس التطّور الإقتصادي العالمي على الأسواق المحليّة في كبرى المدن اللبنانيّة وبلاد الشام عامّةً. وتزامن نشره في مجلّة المشرق مع بداية ظهور مقالات عن التجارة والإقتصاد، وكان الهدف منه تعريف القارئ بأسباب التقلّبات التي تشهدها الحركة التجاريّة وانعاكاساتها على الأسواق المحليّة. فنتيجة إزدهار الصناعات الأجنبيّة بسبب استخدام الآلات على نطاق واسع، إنخفضت أسعار معظم المنتجات الأوروبيّة وغيرها القادمة إلى الأسواق المحليّة، وكثرت المضاربات، وتراجعت الصناعات المحليّة، وازدادت البطالة. ويعطي أمثلة عن تراجع مشتريات المنسوجات في بلاد الشام، وتحديدًا في مدن دمشق، وحلب، والزوق، ورواج الأقمشة الأجنبيّة. ولكنّ الكاتب يستدرك ويقول

إنّ المضاربات قديمة العهد، وهي ليست سيّئة ولها منافع جمّة شرط حسن استعمالها وضبطها بقوانين. وينهي مقاله بطمأنة القارئ بأنّ القوانين وحدها قادرة على ضبط المضاربات التجاريّة، وبأنّه اطّلع على قوانين الدولة العثمانيّة، ووجدها واعية لمسألة المضاربات التجاريّة، وتطبيق القوانين يسهم في ازدهار التجارة وتحسين أحوالها.

قدّم هذا المقال للقارئ معلومات مهمّة عن التجارة والتقلّبات الإقتصاديّة التي شهدتها الأسواق المحليّة في بلاد الشام والعالم مطلع القرن العشرين، وساهم في رسم الإطار العام للتطوّر الإقتصادي عبر التاريخ، وساعد القارئ على فهم أسباب انتشار استخدام الوسائل والتقنيّات التجاريّة المرافقة للتطّور الإقتصادي وما الفائدة الناتجة عنها.

عام ١٩٠٦، نشر الأب هنري لامنس (Henri Lammens) اليسوعي مقالًا في مجلّة "المشرق" عنوانه "تجارة سواحل سورية في الأجيال المتوسّطة" (لامنس، ١٩٠٦، ص ٩١٩–٩٢٤). كان هذا أول مقال يصدر في مجلّة لبنانيّة يتناول تاريخ المدن الساحليّة اللبنانيّة في حقبة محدّدة هي "العصر الوسيط" (Le Moyen Âge) . وهذا المصطلح أطلقه المؤرّخون الأوروبيّون على الحقبة التاريخيّة التي تبدأ بسقوط الإمبراطوريّة الرومانيّة في الغرب عام ٤٧٦ وتنتهي بانتهاء حرب المئة العام بين فرنسا وانكلترا، وسقوط القسطنطينيّة، عام ١٤٥٣، (أو أحيانًا يعتمد بعض المؤرّخين اكتشاف أميركا عام ١٤٩٢ على أنّه تاريخ نهاية القرون الوسطى).

وحصر الأب لامنس موضوع مقاله بالحقبة الممتدّة بين القرنين الحادي عشر والثالث عشر، وأوضح سبب ذلك في مقدّمة المقال قائلًا:"وممّا حدا بنا إلى إيثار تلك الاجيال دون غيرها هو ظهور كتاب نفيس يشهد لمؤلفه بسعة العلم ودقّة الفحص مداره على هذه القرون الثلاثة. فاخترنا منه ما يدلّنا على تجارة سواحل سوريّة في تلك الأيام ضاربين صفحًا عمّا سواها من البلدان المجاورة." وذكر الأب هنري لامنس الكتاب الذي أشار إليه في مقاله وهو كتاب متخصّص في التاريخ الوسيط للبروفسور الألماني أدولف شوبي (Adolf Schaube) صدر في ألمانيا عام ١٩٠٦ بعنوان "تاريخ تجارة الشعوب الرومانيّة في البحر المتوسّط حتى نهاية الحملات الصليبيّة"

(Schaube, 1906). تناول الكتاب تاريخ التجارة بين أوروبا والشرق عبر البحر المتوسّط منذ القرن العاشر حتى منتصف القرن الثالث عشر، مركّزًا على العلاقات بين المدن الإيطاليّة والشرق، وتفوّق التجار الإيطاليّين على غيرهم من التجّار الأوروبيّين بسبب اعتمادهم على أسطول بحري كبير، وتنظيم شركات تجاريّة أسهمت في زيادة استثماراتهم.

نقل الأب هنري لامنس ما ورد في كتاب أدولف شوبي من معلومات عن الحركة التجاريّة في المدن الساحليّة في الشرق والدور الذي أدّاه فيها التجّار الأوروبيّون وفي طليعتهم الإيطاليّون. وأوضح قائلًا عن المقال إنّ "هذا نظر عمومي يبيّن للقرّاء ما ضمّنه الاستاذ شوبي كتابه من المواد المختلفة والمعلومات المتفرّقة المنبثّة في كتب متعدّدة" (لامنس، ١٩٠٦، ص ٩٢٤). وقسّم مقاله الى أربعة مقاطع توزّعت كالآتي:

–المقطع الأول: "في الأمم التي كانت تواصل التجارة في سوريّة"، ذكر فيه أنّ البنادقة، والجنويّين، والبيزيّين، كانوا أول من اقام علاقات تجاريّة مع مدن الساحل السوري، وتبعهم بعد ذلك تجّار من بلجيكا وفرنسا (مدن مرسيليا Marseille، ومونبيلييه Montpellier، وآرل Arles).

–المقطع الثاني: "أهميّة مرافئ سوريّة في تلك الأجيال"، عدّد فيه أهمّ المرافئ واعتبر أنّ مرفأ عكّا كان أهمّ مرفأ وأكبر قاعدة تجاريّة، تليه مرافئ صور، وطرابلس، والسويديّة "التي كانت تُدعى حينئذٍ بميناء مار سمعان"، ثمّ أخيرًا بيروت التي لم تكن في القرنين الثاني عشر والثالث عشر "الّا في خطوتها الأولى لكنّها كانت تتقدّم رويدًا رويدًا حتى آل الأمر بحكومة البندقية أن تقيم فيها قنصلًا. ومنذ القرن الخامس عشر فازت على سائر المدن..." (ص

٩٢١). ومن المرافئ الثانويّة ذكر يافا، وحيفا، وجبيل، والبترون. وشرح بالتفصيل قواعد وأصول السفر في البحر المتوسط، وأعطى معلومات عن المراكب المستخدمة وسعة حمولتها.

– المقطع الثالث، "البضائع المشحونة من سوريّة"، تضمّن أبرز البضائع والمنتجات التي كان يشتريها الأوروبيّون من مدن صور، وطرابلس، وأنطاكية، كالحرير، وأصناف الأقمشة المختلفة، والقطن، والكتّان، والزجاجيّات، والسكّر. وكانت صور مشهورة بتجارة الأرجوان، وبآنياتها الصينيّة وبزجاجها الفاخر. وفي صور وطرابلس، كانت السفن الأوروبيّة تشحن كميّات كبيرة من السكّر، "والأثمار والعقاقير والحشائش الطبيّة والأفاويه العطريّة" (ص ٩٢٢).

– المقطع الرابع، "تنظيم المقامات التجاريّة في سوريّة"، قدّم فيه معلومات عن التجّار الأوروبيّين الذين أقاموا في مدن سوريّة الساحليّة. وذكر أنّهم سكنوا في حيّ مخصّص لهم داخل المدن، وحصلوا على حيّ خاص بهم يضمّ كنيسة، وفرنًا، وحمّامًا، ومستودعات لتخزين بضائعهم. وكان يرأسهم قناصل ينظرون في أمورهم ويحلّون مشاكلهم لتسهيل أعمالهم التجاريّة.

من خلال ما ذكره الأب هنري لامنس في مقاله، يمكننا أن نعطي بعض الملاحظات:

إعتمد الأب هنري لامنس في المقال عبارة "سوريّة" بدلًا من "بلاد الشام"، وذلك بسبب ترجمته للنص الأجنبي الذي يستخدم عبارة (Syria)المقصود بها المنطقة الجغرافيّة التي تضمّ حاليًّا بلدان سوريا، ولبنان، وفلسطين والأردن. ولكن عند شرحه لفكرة معيّنة، كتب "الشام"، كعبارة "بحر الشام" مثلًا، التي ذكرها في نهاية مقاله.

إتّبع منهجيّة واضحة بطرحه للموضوع من خلال عرضه هدف المقال في المقدّمة، وتوزيع الأفكار الرئيسيّة على أقسام، وأخيرًا خاتمة ضمّنها رأيه وملاحظاته. كما أنّه ذكر المراجع في الهامش وأحيانًا أضاف حواشي لتدعيم شرحه.

إستند الأب هنري لامنس إلى كتاب البروفسور الألماني أدولف شوبي لأنّه حسب ما ذكر في مقدّمة المقال " كتاب نفيس يشهد لمؤلفه بسعة العلم ودقّة الفحص"، ولكنّ كتبًا أخرى لاقت أيضًا شهرة واسعة في أوروبا في القرن التاسع عشر، وأضحت مرجعًا أساسيًّا للمؤرّخين المتخصصّين بالتجارة في العصور الوسطى، لم يعتمدها الأب لامنس كمرجع له بديلًا عن كتاب البروفسور شوبي. نذكر منها على سبيل المثال، كتاب المؤرخ الفرنسي جورج برنارد دبينغ (Georges Bernard Depping) الذي صدر بجزئين عام ١٨٣٠ بعنوان "تاريخ التجارة بين المشرق وأوروبا منذ الحملات الصليبيّة حتى تأسيس المستعمرات في أميركا" (Depping, 1830)، ومؤلفات المؤرّخ الألماني ويلهلم هايد(Wilhelm Heyd) التي بدأت تصدر تباعًا منذ العام ١٨٥٨ والتي تناول فيها دراسة العلاقات التجاريّة بين المدن الإيطاليّة والشرق في القرون الوسطى. وجرت أولًا ترجمة هذه الأعمال إلى الإيطاليّة عامي ١٨٦٦–١٨٦٨ ، وصدرت في كتاب بعنوان "الجاليات التجاريّة الإيطاليّة في الشرق في القرون الوسطى" (Heyd, 1866–1868). وبعد ذلك، أصدر ويلهلم هايد عامي ١٨٧٧–١٨٧٩ أشهر كتبه "تاريخ تجارة المشرق في القرون الوسطى"، وتمّت ترجمته من الألمانيّة إلى الفرنسيّة عامي ١٨٨٥–١٨٨٦ (Heyd, 1885–1886). على الأرجح أنّ اختيار الأب هنري لامنس لكتاب أدولف شوبي دون غيره من المراجع مرتبط بكونه أحدث كتاب صادر حينئذٍ في أوروبا عن التجارة والحركة الإقتصاديّة عبر البحر المتوسّط في القرون الوسطى. فما إن صدر في العام ١٩٠٦ حتى بادر الأب لامنس إلى نشر مقاله في مجلّة المشرق. وهذا دليل أنّه كان يتابع إصدارات الكتب الجديدة في أوروبا المتخصّصة بتاريخ التجارة والعلاقات بين الغرب والشرق.

أعطى هذا المقال لأول مرّة إلى القارئ معلومات عن التجارة والحركة الإقتصاديّة عبر المتوسّط، والعلاقات بين الأوروبيّين والسكّان المحليّين الشرقيّين، في مرحلة الحكم الفرنجي في الشرق، محاولًا إحداث تغيير في مفهوم

العلاقات التي قامت بين الفرنج والسكّان الشرقيّين، بخاصّةٍ المسلمين، مظهرًا أنّها لم تقتصر فقط على المعارك والحروب. كما زوّد القارئ بمعلومات عن التجّار الأوروبيّين الذين أقاموا في مدن صور، وطرابلس، وبيروت، وغيرها من مدن الساحل، والتسهيلات التي حصلوا عليها من الحكّام الفرنج المحليّين، والامتيازات التي منحهم إيّاها في مرحلة لاحقة السلاطين الأيوبيّون في القرن الثالث عشر.

أخيرًا، أنهى الأب لامنس مقاله بخاتمة تضمّنت نقدًا لكتاب البروفسور أدولف شوبي.[٢] فاعتبر أنّ البروفسور شوبي "راجع كل المجاميع التي كان يؤمل أن يلقى فيها لأبحاثه فوائد جديدة". ووجد لدى مراجعته للائحة المصادر والمراجع في الكتاب نقصًا بسيطًا، إذ إنّ البروفسور شوبي اعتمد مراجع ودراسات كثيرة، ولكنّه لم يأتِ على ذكر مؤلّفات المؤرّخ الروماني نيقولاو يورغا (Nicolau Jorga) التي نشرها باللغة الفرنسيّة بين عامي ١٨٩٦ و١٩٠١ في مجلة الشرق اللاتيني (Revue de l’Orient Latin)(Jorga, 1896, p. 226–320, 503–622; 1897, p. 108–212, 311–388; 1898, p. 50–143, 370–434; 1899, p. 38–107, 375–١٩٠٠–١٩٠١, p. 1–115 ;٤٢٩). وبخصوص المصادر العربيّة، إنتقد الأب هنري لامنس عدم مراجعة البروفسور شوبي للنصوص العربيّة واكتفائه بمطالعة ما وجده منقولًا إلى لغة أوروبيّة. فمثلًا، إعتمد البروفسور شوبي على الترجمة الانكليزيّة لرحلة إبن جبير التي نشرها عام ١٨٥٨ البروفسور الإنكليزي ويليام رايت (William Wright). وأضاف الأب لامنس أنّ البروفسور شوبي كان بإمكانه أن يستفيد أكثر بإطّلاعه على النصوص العربيّة "لتأييد معارفه ولانتقاده ما ذكره من المعلومات" (لامنس، ١٩٠٦، ص ٩٢٤).

[٢] نشير إلى أنّ أول نقد علمي لكتاب البروفسور أدولف شوبي قام به عام ١٩٠٨ المؤرخ الفرنسي جورج إيفر ونشر في "المجلّة التاريخيّة": (Yver, 1908, p. 394–396)

ولكن مهما يكن من أمر، عدّ الأب لامنس في نهاية مقاله أنّ نقده للكتاب لا يؤثّر في قيمته العلميّة، خصوصًا أنّ البروفسور شوبي دقيق في مقاربته للمسائل التي يطرحها، ولا يؤكّد شيئًا دون أن يثبته بالحجج، ويستند إلى مصادر ومراجع تدعم صحّة ما يقوله. وأبدى الأب لامنس تقديره للمؤرخين الألمان الذين توسّعوا في دراسة تاريخ الشرق وأحواله في القرون الوسطى. وانتهى إلى خلاصة مفادها أنّ هذا الكتاب هو جدير بأن يُدرس بتمعّن نظرًا لما يحتويه من معلومات مهمّة، وختم قائلًا "وغاية ما نتمنّى أن يتولّى العلماء على مثال المسيو شوبي تاريخ التجارة البحريّة في بحر الشام مدّة الأعصر التي لم يتعرّض لكتابة أخبارها" (ص ٩٢٤).

لقد حاول الأب لامنس من خلال مقاله أن يلفت انتباه القارئ إلى أنّ تاريخ الشرق يمكن دراسته بالإستناد إلى مصادر أوروبيّة. وركّز على أهميّة الإطّلاع على أحدث وأهمّ الكتب التي تصدر في أوروبا، تحديدًا في ألمانيا، للتمكّن من فهم أوضح لتاريخ التجارة بين الشرق وأوروبا، والإفادة من هذه الدراسات لتعلّم المنهجيّة العلميّة الأوروبيّة في الكتابة التاريخيّة لإحداث تغيير في المضمون والشكل، ووزيادة الإهتمام بالتاريخ الوسيط من خلال التطّرق إلى مواضيع جديدة كانت لا تزال بمعظمها غير معروفة للباحثين الشرقيّين والمتخصّصين في التاريخ الذين كانوا يركّزون كتاباتهم بالدرجة الأولى على التاريخ الحديث بحصر اهتماماتهم بالتطوّرات الداخليّة المحليّة، والتاريخ السياسي، والتاريخ الإقليمي وارتباطه بالأحداث الأوروبيّة. ولكنّ الأب لامنس لم يشر إلى أهميّة مراكز الأرشيف الأوروبيّة وما تحويه من وثائق وسجلّات تتضمّن معلومات كثيرة عن تاريخ الشرق في العصر الوسيط بل اكتفى بذكر الدراسات التي يقدّمها تباعًا المؤرّخون الأوروبيّون في هذا المجال وما صدر منها في ألمانيا مطلع القرن العشرين.

وفي عام ١٩٠٧، نشر الأب هنري لامنس مقالًا في مجلّة "المشرق" عن "التجارة في القرن التاسع عشر" (لامنس، ١٩٠٧، ص ٣٠–٣٣)، وكأنّه كان يهدف إلى رسم مسار تاريخي لتطّور التجارة في العالم لكي يسهل

على القارئ التمييز بين الحقبات التاريخيّة المختلفة منذ أقدم العصور وحتى زمانه. واعتمد في مقاله على كتاب "تاريخ التجارة في العالم منذ أقدم العصور" وبخاصّةٍ الجزء الثالث من الكتاب "منذ الثورة الفرنسيّة حتى الحرب الفرنسيّة– الألمانيّة (١٨٧٠–١٨٧١)" للمؤرّخ الفرنسي أوكتاف نويل (Octave Noël)الذي عرّف عنه بقوله إنّه "أحد اساتذة مكتب الدروس التجاريّة العليا في باريس" (Noël, 1891–1906).

لقد كانت المقالات عن التجارة والتاريخ الإقتصادي موجّهة إلى فئة مثقّفة من القرّاء، بهدف تعميق معرفتهم وثقافتهم العامّة، ولحثّهم على الإطّلاع على أهمّ إصدارات أوروبا التاريخيّة والعمل على تطوير أفكار وتصوّرات جديدة حول التاريخ باتبّاع المنهجيّة العلميّة التي تقوم بتقسيمه إلى حقبات لتطوير دراسته، وبداية التفكير في كتابة تاريخ إقتصادي للبنان، منذ القدم حتى العصرين الوسيط والحديث. وضمن هذا الخطّ التوجيهي، وتزامنًا مع المقالات التي تناولت تاريخ التجارة في العصرين الوسيط والحديث، نشر الأب اليسوعي لويس جلابرت(Louis Jalabert) مقالين في التاريخ القديم. صدر الأول عام ١٩٠٥ بعنوان "شركة ملاحيّة قديمة في بيروت" (جلابرت، ١٩٠٥، ص ٦١٧–٦٢١؛ ٧٠٦–٧١٠)، تناول فيه كتابة قديمة منقوشة على صفيحة مستديرة من الشّبهان (النحاس الأصفر) تمّ العثور عليها عام ١٨٩٩ في بلدة دير القمر. وعرض صورة الصفيحة وذكر في الهامش الدراسات التي وضعها كبار علماء الآثار الفرنسيّين عنها، وأورد أبرز الآراء العلميّة بخصوص الكتابة المنقوشة على الصفيحة، وأفاد أنّ هذه الكتابة للوهلة الأولى تعطي انطباعًا أنّها تعود للقرن الثاني الميلادي، ولكنّها نُقشت بعد الكتابة بقرون عديدة وعلى الأرجح أنّها من عمل الفرنج، فقال فريق من العلماء أنّها كانت أولًا في بلاد الشام ثمّ نقشها بعض العملة الفرنج، واعتبر فريق آخر أنّ الكتابة خُطّت في القرن الثاني في بلاد غالية (Gallia/Gaulle)(تشمل فرنسا وبلجيكا)، ونُقشت بعد ذلك بقرون فنُقلت إلى بيروت وفي مرحلة لاحقة، إلى دير القمر مع الترجيح أنّ يكون الفرنج قد أحضروها معهم إلى الشرق في القرون الوسطى (جلابرت، ١٩٠٥، ص

٦١٨). ومفاد النصّ أنّ شخصًا يُدعى يليانوس، على الأرجح هو كلوديوس يليانوس (Claudius Julianus) ناظر الميرة (الضرائب المجباة للدولة)، بعث برسالة إلى شركة الملّاحين البحريّين في مدينة آرل Arles (جنوب فرنسا حاليًّا) حوالي عام ٢٠١ للميلاد، يعلمهم فيها أنّه نقل شكواهم إلى الوكيل الإمبراطوري، وأنّ هذا الأخير اتّخذ الوسائل لردّ الاعتداء عنهم. والمهمّ في المقال، أنّه يعتمد منهجيّة علميّة واضحة، ويقدّم شرحًا علميًّا للنصّ، ويطرح فرضيّة وجود علاقات ومعاملات تجاريّة بين مدينتي بيروت وآرل، ويحاول من خلال عرض ومناقشة أرآء الباحثين وتحليلها ليثبت صحّتها أو رفضها وعدم الأخذ بها. وفي النهاية يصل الأب لويس جلابرت إلى استنتاج أنّه لا يوجد إثبات واضح أنّ علاقات تجاريّة قامت بين مدينتي بيروت وآرل، ولا يمكن تأكيد ما قاله باحثون أنّ شركة الملّاحين في آرل كان لها في بيروت مقام تجاري، وعلى الأرجح أنّ الصفيحة النحاسيّة نُقشت عليها كتابة في غاليا. ومع الوقت، انتقلت إلى الشرق، وبعد حقبة زمنيّة تمّ اكتشافها. ولكن أهميّتها أنّها تعطي معلومات عن أحوال نقل الميرة في العصر الروماني.

وفي عام ١٩٠٦، نشر الأب لويس جلابرت اليسوعي في مجلّة "المشرق" مقالًا ثانيًا في التاريخ القديم عنوانه "تاريخ التجارة في الأجيال الغابرة" (جلابرت، ١٩٠٦، ص ١٠٠٥–١٠٠٩). هدف المقال إلى تعريف القارئ بأهميّة التاريخ الإقتصادي الذي تعود جذوره إلى أقدم العصور، وأنّ الكتابة التاريخيّة لا تقتصر فقط على "**حروب وفتوح ومهاجرات واستعمار**". واعتمد الأب جلابرت في مقاله على كتاب "تاريخ التجارة عند الأقدمين" الصادر بخمسة أجزاء بين عامي ١٩٠٠ و١٩٠٦ للمؤرّخ الألماني ارنست سبيك Ernst Speck "**أحد الأساتذة المشهورين**

---

[٣] **"ومن خصّ بنظره هذه الكتابة وجدها شبيهة بآثار أوآخر القرن الثاني بعد المسيح أمّا النقوش الموصوفة آنفًا فقد حُفرت بعد الكتابة بقرون عديدة ولا شك أنّها من عمل بعض الفرنج سواء قيل أنّ الصفيحة كانت أولًا في بلاد الشام ثمّ نقشها بعض العملة الأجانب أو يقال بالأحرى أنّ الكتابة خُطّت في القرن الثاني في بلاد غالية ونُقشت بعد ذلك بقرون فنُقلت إلى سوريّة فلبنان فدير القمر حيث وُجدت كما سبق القول دون أن يُعرف ناقلها مع ترجيح الرأي بأنّ بعض الفرنج اتوا بها في القرون الوسطى".**

في مدارس التجارة الألمانيّة"(Speck, 1900–1906). ولكنّه أخضعه للنقد معتبرًا أنّ الكتاب تشوبه بعض النواقص بسبب تركيزه على الألمان ولأنّه "**خصّه بمدارس التجارة الألمانيّة دون غيرها وحصر منفعته بشعب واحد**" (ص ١٠٠٦). كما أخذ عليه عدم ذكر مصادر الكتاب المؤلّف من ثلاثة الآف صفحة، وافتقاده أحيانًا للشرح والتحليل، ما يقلّل من قيمته العلميّة مقارنةً مع المقالتين اللتين كتبهما المؤرّخان بول هوفلين (Paul) Huvelin ورينيه كانيا (René Cagnat) في "معجم الأجيال الغابرة" (Dictionnaire de l'Antiquité) (ص ١٠٠٦). وعلى الرغم من ذلك، فإنّ الأب جلابرت يقول: "**ومع هذا نحث الجميع على مطالعة هذا المصنّف فانهم يلقون فيه فوائد جمّة**"، "**والحق يقال أنّه أوفى كتاب في هذا الموضوع**" (جلابرت، ١٩٠٦، ص ١٠٠٧–١٠٠٩). وعرض أقسام الكتاب ليضع أمام القارئ ما تضمّنه من معلومات، وليعطي فكرة عن المنهجيّة المعتمدة في معالجة موضوع التجارة عند الشعوب القديمة. فالكتاب موزّع على خمسة أجزاء، يعطي الجزء الأول تعريفًا للتجارة، وأحوال التجارة قديمًا في الصين والهند وبلاد بابل وأشور والفرس ومصر وفنيقيا. واعتبر أنّ الفنيقيّين تبوّأوا المقام الأول بين الشعوب القديمة في مجال التجارة. وخصّص الجزء الثاني للشعب اليوناني ومراكز انتشاره، أمّا الأجزاء الثلاثة الأخرى، فتناولت أحوال التجارة في قرطاجة، وبلاد الاتروسك وروما.

ما نشره الأب جلابرت عامي ١٩٠٥ و١٩٠٦ شكّل أولى الكتابات التي تناولت دراسة تاريخ التجارة عند الشعوب القديمة الصادرة في مجلّة "المشرق" ضمن سلسلة من المقالات عن تاريخ التجارة عبر العصور. فقد أظهرت هذه المقالات أهميّة التجارة في الحقبات التاريخيّة المختلفة، بخاصّةٍ في لبنان منذ الفنيقيّين حتى العصور الحديثة، وانفتاح الدول على بعضها بعضًا وإقامة علاقات فيما بينها، وارتباط نشأة التجارة بإنتاج البضاعة، وتطوّر عمليّات التبادل، والانتقال التدريجيّ من المقايضة إلى اعتماد النقود في عمليات البيع والشراء، وازدهار التجارة المحليّة، والتجارة الخارجيّة البريّة والبحريّة. وعرضت هذه المقالات أحدث الاكتشافات الأثريّة، وأهمّ الدراسات

الصادرة عنها في ألمانيا وفرنسا، وعملت على مناقشة آراء الباحثين وتحليلها وإخضاعها للنقد وصولًا إلى تقديم استنتاجات. وحرصت على أن يعلم القارئ أنّ كتابة التاريخ الاقتصادي في العالم الغربي قطعت شوطًا متقدّمًا وظهرت نظريّات اقتصاديّة حول التجارة وأسباب ظهورها وتطورّها وفوائدها، وعلى القارئ مواكبة ما يصدر بهذا المجال من مؤلفات ومقالات علميّة للإفادة منها لتوسيع معارفه وحثّه على الكتابة ضمن هذا الإتجاه.

خاتمة

منذ العام ١٩٠٥، ظهرت أولى ملامح كتابة تاريخ لبنان الاقتصادي مع نشر سلسلة من المقالات في مجلّة "المشرق" عرضت تطوّر التجارة والنشاط الإقتصادي للمدن الساحليّة اللبنانيّة منذ العصور القديمة حتى الحقبة الحديثة. جاءت هذه المقالات عبارة عن ملخّصات لأبرز وأهمّ المؤلّفات والدراسات المتخصّصة الصادرة في أوروبا منذ منتصف القرن التاسع عشر وحتى العام ١٩٠٦. وحاول كتّاب المقالات تطوير أفكار جديدة في الكتابة التاريخيّة متّبعين المنهجيّة العلميّة الغربيّة، تحديدًا الألمانيّة والفرنسيّة. وساعد على نشر هذا النوع من المقالات الجوّ العام الذي كان سائدًا في لبنان منذ نهاية القرن التاسع عشر، حيث شهد قطاع التعليم تقدّمًا مع إنتشار المدارس، وإنشاء جامعتين (الأميركية واليسوعيّة)، وإزدهار حركة الطباعة، وصدور المجلّات والصحف التي كان هدفها نشر المعرفة والثقافة العامّة. فبين عامي ١٨٧٠ و١٩٠٠، صدرت في لبنان نحو ٤٠ مجلّة وجريدة بمواضيع مختلفة (هافمان، ٢٠١١، ص ١١٦).

هدفت هذه المقالات في مجلّة "المشرق" إلى تسليط الضوء على أحدث الدراسات الصادرة في أوروبا لكي يستفيد منها الباحثون والمهتمّون بكتابة تاريخ لبنان، وتوجيههم نحو مدرسة جديدة في الكتابة التاريخيّة مهمّتها

دراسة أحوال التجارة وتطوّرها عبر التاريخ. ولكنّ هذه المقالات فشلت في تحقيق أهدافها، إذ إنّ التاريخ الاقتصادي لم يحظَ باهتمام المؤرّخين والباحثين اللبنانيّين، فغابت الدراسات والأعمال العلميّة المستندة إلى مصادر جديدة ومراجع متخصّصة صادرة في أوروبا والولايات المتحدة الأميركيّة. فبين عامي ١٨٩٨ تاريخ تأسيس مجلّة المشرق و١٩٢٠، لم تظهر دراسات جديّة تتناول تاريخ لبنان الاقتصادي. وباستثناء مقالات مجلّة المشرق بين عامي ١٩٠٥ و١٩٠٨، وكتاب الأب هنري لامنس "سوريّة. ملخّص تاريخي" (La Syrie. Précis historique) الصادر عام ١٩٢١ (Lammens, 1921)، والذي تناول بجزء منه حركة التجارة في المدن الساحليّة اللبنانيّة عبر العصور، غابت الدراسات العلميّة في تاريخ لبنان الإقتصادي، ولم يشهد التاريخ الاقتصادي بشكل عام تطوّرًا موازيًا لمثيله في الغرب، بخاصّةٍ في العصور القديمة والوسطى.

لم تظهر أبحاث علميّة في التاريخ الاقتصادي القديم بسبب الصعوبات التي يواجهها الباحثون. فالدراسات والأبحاث في التاريخ الاقتصادي القديم تتطلّب معرفة اللغات القديمة لدراسة النصوص والنقوش، ومواكبة أحدث ما يتوصّل إليه علم الآثار، والإطّلاع على الدراسات التي تتضمّن تحليل نتائج الإكتشافات والحفريّات الأثريّة. وبخصوص التاريخ الوسيط، فالدراسات القائمة على الوثائق المحفوظة في مراكز أرشيف المدن الأوروبيّة التي تغطّي الحقبة الممتدة من القرن الثاني عشر حتى القرن الخامس عشر ظلت غائبة واكتفت بنقل ما يرد ذكره في الكتب الأجنبيّة. ولعلّ السبب في ذلك أنّ الدراسات التاريخيّة الاقتصاديّة للمدن الساحليّة اللبنانيّة، من أكثر المواضيع صعوبةً وتعقيدًا لأنّها تحتاج إلى معرفة واسعة باللغة اللاتينيّة وباللغات الأوروبيّة الحديثة والوسيطة. بالإضافة إلى أنّ معظم الوثائق والنصوص، التي هي أساس لهذا النوع من الدراسات، ما زالت مخطوطة غير منشورة، محفوظة في مراكز أرشيف المدن الأوروبيّة ومعظمها ليس في متناول أيدي الباحثين. ولكن منذ منتصف

القرن العشرين، ومع التوسّع في التخصّص التاريخي ومتابعة الدراسة في الجامعات الغربيّة، في أوروبا والولايات المتحدة الأميركيّة، بدأت كتابة التاريخ الاقتصادي في لبنان تأخذ تدريجيًّا منحًى علميًا متقدّمًا، ونتجت عنها دراسات جديدة ومميّزة تسمح بإعادة رسم إطار التاريخ الاقتصادي للمدن الساحليّة اللبنانيّة في الحوض الشرقي للبحر المتوسّط، والمكانة التي احتلّتها على الخريطة الاقتصاديّة العالميّة في العصور المختلفة.

المصادر والمراجع العربيّة

- جلابرت، لويس (١٩٠٥). "شركة ملاحيّة قديمة في بيروت"، **مجلّة المشرق** (١٣)، ٦١٧-٦٢١، و**مجلّة المشرق** (١٥)، ٧٠٦-٧١٠.

_____(١٩٠٦). "تاريخ التجارة في الاجيال الغابرة"، **مجلّة المشرق** (٢١)، ١٠٠٥-١٠٠٩.

- كوثراني، وجيه (٢٠١٢). **تاريخ التأريخ. إتجاهات – مدارس – مناهج** (ط ١)، بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

- كيّال، توما (١٩٠٥). "الحركة التجاريّة في مدينة صيدا". **مجلّة المشرق** (٧)، ٣٢٧-٣٢٩.

_____ (١٩٠٦). "أهميّة التجارة في مدينة صيدا"، **مجلّة المشرق** (٤)، ١٥٧-١٦١.

_____ (١٩٠٨). "تجارة صيدا وزراعتها وصناعتها"، **مجلّة المشرق** (٣)، ١٧٤-١٨٠.

- لامنس، هنري (١٩٠٦). "تجارة سواحل سورية في الأجيال المتوسّطة"، **مجلّة المشرق** (٢٠)، ٩١٩-٩٢٤.

_____(١٩٠٧). "التجارة في القرن التاسع عشر"، **مجلّة المشرق** (١)، ٣٠-٣٣.

- لوسان، شارل (١٩٠٥). "المضاربات التجاريّة"، **مجلّة المشرق** (٢٤)، ١١١٣-١١١٨.

- هافمان، أكسيل (٢٠١١). **التاريخ وكتابة التاريخ في لبنان خلال القرنين التاسع عشر والعشرين. الفهم الذاتي للتاريخ: أشكاله ووظائفه** (ط١)، بيروت: المعهد الألماني للأبحاث الشرقيّة في بيروت.

المراجع الأجنبيّة

- Bourdé, Guy et Martin, Hervé (1997). *Les écoles historiques*, Nouvelle édition. Paris: Éditions du Seuil.
- Cuinet, Vital (1896). *Syrie, Liban et Palestine. Géographie administrative statistique, descriptive et raisonnée*. Paris: Éd. Ernest Leroux.
- Depping, Georges Bernard (1830). *Histoire du commerce entre le Levant et l'Europe, depuis les Croisades jusqu'à la fondation des colonies d'Amérique*, I–II. Paris.
- Heyd, Wilhelm (1866–1868). *Le colonie commerciali degli italiani in Oriente nel medioevo*. Venezia e Torino: Dissertazioni recate in italiano dal prof. G.Müller, vol.VI e XIII de la nuova collezione di opera storiche.

_____ .(1885–1886). *Histoire du commerce du Levant au Moyen Âge*, I–II. Harrasowitz, Leipzig; Lechevalier, Paris: Édition française refondue et considérablement augmentée par l'auteur publiée sous le patronage de la Société de l'Orient Latin par Furcy Raynaud.

- Jorga, Nicolau (1896). "Notes et extraits pour servir à l'histoire des Croisades au XVe siècle. Documents politiques réédités avec l'autorisation des presses universitaires de France », *Revue de l'Orient Latin*, 4, 226–320 et 503–622.

_____ (1897). “Notes et extraits pour servir à l’histoire des Croisades au XVe siècle. Documents politiques réédités avec l’autorisation des presses universitaires de France ”, *Revue de l’Orient Latin*, 5, 108-212 et 311-388.

_____ (1898). “Notes et extraits pour servir à l’histoire des Croisades au XVe siècle. Documents politiques réédités avec l’autorisation des presses universitaires de France ”, *Revue de l’Orient Latin*, 6, 50-143 et 370-434.

_____ (1899). « Notes et extraits pour servir à l’histoire des Croisades au XVe siècle. Documents politiques réédités avec l’autorisation des presses universitaires de France » , *Revue de l’Orient Latin*, 7, 38-107 et 375-429.

_____ (1900-1901). “Notes et extraits pour servir à l’histoire des Croisades au XVe siècle. Documents politiques réédités avec l’autorisation des presses universitaires de France ”, *Revue de l’Orient Latin*, 8, 1-115.

- Lammens, Henri (1921). *La Syrie. Précis historique*, I-II. Beyrouth: Imprimerie catholique.
- Noël, Octave (1891-1906). *Histoire du commerce du monde depuis les temps les plus reculés*, I-III. Paris.
- Savary, Jacques (1675). *Le Parfait Négociant, ou Instruction générale pour ce qui regarde le commerce de toute sorte de marchandises tant de France que des pays étrangers.* Paris: Éd. Louis Bellaine.
- Schaube, Adolf (1906). *Handelsgeschichte der romanischen Völker des Mittelmeergebiets bis zum Ende der Kreuzzüge*. München und Berlin: Druck und Verlag Von R. Oldenbourg.
- Speck, Ernst (1900-1906). *Handelsgeschichte des Altertums*, 1-5. Leipzig: Friedrich Brandstetter.
- Yver, Georges (1908). “Comptes-rendus critiques”. *Revue Historique*, 99 (2), 394-396.